الحياء

نتحدُّث عن خُلق من الأخلاق له تأثير عظيم في الفرد والأسرة والمجتمع، فلا يوجد فرد إلَّا ويحتاج إليه، ولا توجد أسرة إلَّا ويجب أن يكون راسخاً فيها، ولا يوجد مجتمع إلا ويجب أن يعيش به، ولو ضاع منا هذا الخلق ضاع شباب كثير. وبالفعل عندما افتقدنا هذا الخلق فيما بيننا فقدنا أشياء كثيرة، هل عرفنا هذا الخلق؟! إنه خلق الحياء....

يحدثنا النبي ﷺ عن هذا الخلق كثيراً... فنلمح في كلامه معانٍ جميلة فيقول ﷺ: **«الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**... فالنبي لا يذكر الإيمان إلاَّ ويذكر الحياء. [البخاري ومسلم عن أبي هريرة].

«الحياء والإيمان قرناء جميعاً إذا رفع أحدهما رفع الآخر». [عن ابن عمر في «الجامع الصغير»].

«الحياء كله خير». [عن عمران بن حصين في الطبراني وسنن أبي داود].

«الحياء لا يأتي إلا بخير». [البخاري ومسلم عن عمران بن حصين].

«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فافعل

ما شئت». [صحيح البخاري وأحمد في «مسنده»] .

«إن لكل دين خلقاً وإن خلق الإسلام الحياء». [ابن ماجه والطبراني] .

أرأيتم هذا الكم من أحاديث النبي ﷺ التي توضِح قيمة الحياء وأثره في المجتمع؟ وقد كان النبي ﷺ هو قدوتنا في هذا الخلق فكان أشد حياء من العذراء في خِدْرها [رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد في مسنده].

فهناك كم هائل من الأحاديث التي تركز في هذا الخلق الذي ضاع بيننا وبين كثير من شبابنا. . . .

فلماذا الحياء تحديداً؟ وأين بقية شعب الإيمان؟

المقصود أيها الأخوة أن الحياء يضبط بقية الشُعَب، وكأن النبي ﷺ الذي أُوتي جوامع الكلام، يقول لك كلمة واحدة تساعدك على ضبط باقي شُعَب الإيمان، هي الحياء، فلو كان عندك حياء لن تكذب، ولو كان عندك حياء لن تغتاب أحداً، ولو كان عندك حياء لن تعق والديك، ولو كان عندك حياء لن تترك الصلاة، ولو كان عندك حياء ستفخر بشعائر دينك. . .

ما معنى الحياء؟ وما العلاقة بين الحياء والحياة؟

في الحقيقة العلاقة عجيبة بينهما، فكلما زاد حياؤك كلما زادت حياتك فأكمل الناس حياة أكملهم حياء. . .

وصور الحياء كثيرة أيها الأخوة، ومن كثرتها يكاد يكون الدين كله من الحياء كما يقول العلماء مصداقاً لقول النبي ﷺ : **«لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء»**.

ما هو الحياء؟؟

الحياء كما يعرّفه العلماء، هو خُلق يبعث على اجتناب القبيح حتى ولو لم يرَك أحد... هذا هو تعريف الحياء: إنه عاطفة تترفع بها النفس عن فعل الرذائل... فعندما تجد نفسك غير قادر على فعل القبيح، فاعلم أنه الحياء.

ولكن ما الفرق بين الحياء والخجل؟

يظن كثيرون أن الخجل هو الحياء، أو أنه جزء من الحياء، ولكن الحقيقة أيُها الأخوة أن الخجل عكس الحياء.. فغالباً ما يكون الخجل سببه نقص في شخصية الإنسان إذ إنه يشعر أنه أضعف من الآخرين وأنه لا يستطيع مواجهتهم حتى ولو لم يفعل شيئاً خطأ... وهذا مختلف تماماً عن الحياء، فالحياء : شعور نابع من الإحساس برفعة وعظمة النفس، فكلما رأيت نفسي رفيعة وعالية كلما استحييت أن أضعها في الدنايا.. فالحيي يستحي أن يزني، أو يكذب؛ لأنه لا يقبل أن تكون نفسه في هذه الدنايا... ولكن الخجول إذا أُتيحت له الفرصة أن يفعل ذلك دون أن يراه أحد لفَعل.

والحقيقة أيها الأخوة أنني متأثرٌ جداً بشخصية من أعظم الشخصيات في الإسلام، هي شخصية سيدنا عثمان بن عفان التي تميَّزت بالحياء لدرجة أن النبي ﷺ أخبرنا: **«أنه تستحي منه الملائكة من شدة حيائه»**. [عن أم المؤمنين عائشة ﵂ في مسند الإمام أحمد]. وأتمنى أن يجمعني الله به في الجنة لأرى هذا الرجل الذي تستحي منه الملائكة، ولكن هذا الرجل لم يكن يمنعه حياؤه من المطالبة بحقه، وأن يأخذ حقه وهذا عكس الخجول.

أنتقل بحضراتكم إلى نقطة أخرى وهي:

هل الحياء يولد بالفطرة مع الإنسان أم أنه يمكن اكتسابه...؟

نعم أيها الأخوة، نولد جميعاً على الفطرة، وهناك حديث جميل للنبي ﷺ يقول فيه: «**إنما العلم بالتعلُّم، وإنما الحلم بالتحلم**». [عن أبي الدرداء في «الجامع الصغير»].

وكأن النبي ﷺ يقول لنا: ليس هناك خلق لا يمكنك اكتسابه فإذا صبرت تتعلم الصبر، وإذا كنت كذاباً تكون صادقاً بالتدريب، وإذا لم تكن حيياً يمكنك أن تكون صاحب حياء بالتدريب أيضاً... ويكفينا أن نتعلم من صحابة النبي ﷺ الذين كان حالهم مختلف قبل الإسلام، ولكن بعد أن أسلموا ارتبطوا بهذا الدين وتخلّقوا بأخلاقه.

قصص من الواقع

السعادة الحقيقية في طاعة الله تعالى والحياء من الله سبحانه وتعالى

اسمي شريف... أود أن أحكي لكم تجربتي من تحولي من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين... في الواقع كنت أعيش مثل معظم الشباب، حياة اللامبالاة، أفعل ما أريد في أي وقت، وفي أي مكان، ربما كانت نشأتي الأولى إلى حد ما إسلامية فكان الأهل حريصين على التربية والالتزام الديني، فتربيت على الأدب والأمانة والالتزام والمحافظة على الصلاة إلى أن كبرت وبدأت شخصيتي تتغير

بفعل عوامل كثيرة؛ منها: الدراسة، فقد كنت في مدرسة لغات مختلطة، فكان الطالب يفعل أي شيء، يعني: مثلاً يهين المدرس أو يضربه، يدخن أي شيء، يصاحب البنات، وكانت هذه هي الشخصية المحبوبة أو المسيطرة في المدرسة، وسرت في هذه الطريق في المدرسة، وفي الجامعة... ففعلت كل ما يمكن أن تتخيلوه بعيداً عن الصواب وكل ما يسبب مشاكل مع الأهل والشرطة، ولم يكن في هذا الوضع أي لذة حقيقية، فكنت خائفاً أن يقبضني الله وأنا نائم، فأموت على معصية، وعلى الوضع الذي أنا فيه...

وبعد ذلك حدثت مواقف كثيرة جعلتني أُعيد التفكير في وضعي وفي أسلوب حياتي... فمثلاً وقعت لي حادثة بالسيارة أنا وصديق لي، وكانت حادثة شديدة كان من الممكن أن نموت فيها وأُجريت لنا جراحات عديدة، وبعد ذلك جلس معي والدي وقال لي: أنت لن تنفعني بشيء، فإن عشت صالحاً فلنفسك وإن عشت سيئاً ستموت على ما أنت عليه، وفعلاً حاولت بعدها أن أعيد حساباتي، وحاولت أن ألتزم لمدة ثلاثة شهور، ولكن لم يكن حولي من الأصدقاء والرفاق من يساعدني على ذلك، فكل أصدقائي مثلي، وبالعكس جعلوني أنجرف معهم مرة أخرى...

بعدها حدثت مجموعة من الأحداث.... وكأن الله يعطيني إنذارات.... فيموت أحد أصدقائي في مثل سني في حادثة سيارة... وآخر كان في حالة غير طبيعية فسقط في حفرة المصعد. وآخر كان يمزح فقتل نفسه...

وهكذا كل فترة يموت شخص قريب مني، فوجدت أن

دوري قادم وإلى أن توفي أحد أصدقائي بسبب جرعات زائدة من المخدر، وكان يُعتبر الأقوى بيننا، وعندما حضرت تشريحه وجدته ممدداً لا حول ولا قوة، وقد فتحوا صدره ودماغه وهو لا يصد ولا يرد، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئاً... فهزني هذا الموقف جداً وتخيَّلت الحوار الذي يحدث بينه الآن وبين ملائكة الحساب، فقررت أن أخرج نفسي وأن أتعظ من هذه الإنذارات التي يرسلها الله لي...

فبدأت أخرج مع جماعة من الزملاء الملتزمين، وكانوا يذهبون كل يوم اثنين إلى درس في أحد المساجد، وكنت في البداية رافضاً لفكرة الدروس هذه، ولم تكن فكرتي جيدة عن هؤلاء الملتزمين إلى أن حضرت معهم في أحد الأيام...

وكانت هذه هي البداية الحقيقية والتغيير الجوهري في حياتي، فبدأت أتعرف على شباب ملتزمين عكس الفكرة التي كانت في ذهني، وكان أول درس أحضره كان يحاضر فيه شيخ ظريف ويبتسم كل الوقت، ويسرد مواقف جميلة من السيرة، ويشرح أحاديث ويتكلم عن الدار الآخرة والموت والبعث والحساب، وكانت هذه الأشياء مناسبة جداً لهذه الفترة من حياتي ولحالتي النفسية....

فتأثرت جداً بكلامه وقررت ألا أترك من هذه الدروس شيئاً وأن أُطبق هذا الكلام ولا أكون مستمعاً فقط، وبعد الدرس بدأ أصدقائي يعرِّفونني على شباب آخرين، فوجدت أنهم مجموعة ممتازة يتقابلون ويلعبون الكرة، ويحضرون الدرس، ويتناولون العشاء بالخارج معاً فوجدت أن حياتهم جميلة، وليست معقدة كما كنت

أتخيَّل... فهم يصلون ويلعبون، ويحضرون دروس العلم ويحاولون دعوة غيرهم، فيعيشون حياتهم بطريقة جميلة، ويمضون أوقات فراغهم بشكل رائع...

فقررت أن أكون مثلهم، لأنني لست أقل منهم، فبدأت فعلاً أواظب على الدروس وقراءة القرآن، وبدأت أعرف كيف يجب أن أعيش، ووجدت المسألة ليست صعبة، وأنَّ هذه هي الحياة التي أرادها الله لنا، والتي يجب أن نعيشها بحيث إذا مت في أي لحظة أكون مستعداً للقاء الله.. فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ولكن من منا يحب لقاء الله؟! لا أحد يحب الموت، لا أحد يحب حديث الموت، لا أحد يفكر في الموت...

ولكن عندما تفكر في هذا الكلام، تجد أن هذا هو الصواب وهذا هو ما أراده الله تعالى لنا...

أما أنا فبعد أن التزمت بفضل الله، تخرجت من الكلية وعملت في أكبر مكتب مراجعة حسابات في مصر لمدة سنة، ثم تركته، وعملت في شركة أخرى أعد فيها الآن لأكون مدير مبيعات لمنطقة الشرق الأوسط لشركة أجنبية، لها فروع في كل أنحاء العالم، وهذا بفضل الله تعالى، وبما أنعم عليَّ من إيمان.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

خلاصة ما خرجت به من تجربتي هذه... أن السعادة الحقيقية

في طاعة الله تعالى والحياء من الله ، وأن الشباب الملتزم يجب أن يكون من أفضل الناس.

صور ونماذج من عدم الحياء نراها في مجتمع الشباب ونود أن تتغير وتنتهي..

١ ـ الديسكو ٢ ـ مغازلة البنات في الشوارع.

مسألة المعاكسة هذه مستفزة جداً، لدرجة أن كل الناس تفاعلت معها... هناك موقف في السيرة يتعلق بهذه المسألة: جاء وفد إلى النبي ﷺ يبايعونه، وكان بينهم رجل يدعى قيس، وهم في طريقهم إلى النبي ﷺ مال قيس في إحدى سكك المدينة إلى جارية من جواري المدينة ـ يعني: غازلها ـ وفي اليوم الثاني ذهبوا لمبايعة النبي ﷺ فسلَّم عليهم النبي رجلًا رجلًا وعندما جاء إلى قيس قبض النبي ﷺ يده وقال: «**أنت صاحب الأمس**» ـ يعني أنت صاحب التصرف السيىء بالأمس ـ فسكت، فأشاح عنه النبي ﷺ بوجهه، فأسرع إليه وقال: يا رسول الله بايعني وأُقسم ألا أعود أبداً، فوافق بعد فترة...

تضيَّل! النبي ﷺ يرفض مبايعته فالأمر خطير....

الأمر خطير أيها الأخوة، ولا أعتقد أن أحداً يرضاه لأمه أو لأخته.

ومن صور الخروج عن الحياء كذلك:

٣ ـ تدخين البنات للشيشة.

٤ ـ فترينات الملابس حيث نجد قمصان النوم على واجهات المحلات.

٥ ـ ما انتشر في أيامنا الحالية من تخاطب الشباب على الإنترنت بكلام لا يليق، أريد من الشباب والبنات الذين يفعلون ذلك أن يتخيَّلوا فقط وهم يتكلمون هذا الكلام القبيح، أن والده أو والدها يرى هذا الكلام....

ما بالك اذن اذا كان الله تبارك وتعالى يسمع ويرى ألا نستحي منه؟

الخلاصة: أضرب لكم مثلاً رائعاً لحياء رجل وامرأة في تعاملهما... سيدنا موسى وابنة الرجل الصالح، وذلك في سورة القصص حيث قابلها سيدنا موسى عندما هرب من فرعون، تقول الآيات: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]. امرأتان تقفان جانباً فتوجه إليهما على الفور وسألهما: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ما الموضوع قالتا: لدينا مشكلة كذا كذا... لم يمنعه حياءه أن يخدمهما ولكن ابتعد بمجرد أن انتهى.. ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ يعني: مشيتها على استحياء، كلامها على استحياء: حركتها على استحياء..

هذا هو الحياء الذي نريده أيها الأخوة.

إن الحياء من الله تعالى يجب أن يكون أعظم شيء في الوجود يا شبابنا... يا أهلنا ... يا بناتنا...إذا لم نستحِ من الله

في الدنيا، ماذا سنفعل ونحن واقفون بين يديه؟!! وهو يَقول: عبدي... أتذكر ذنب كذا؟.. اقرأ كتابك يا عبدي.. دعونا نستحي من الله في الدنيا لنهنأ في الآخرة.